كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلميـة

من جماليات السرد والتصوير الفنى
فى حديث القرآن الكريم عن
الرؤيا وتأويلها

إعداد

د / عصمت محمد أحمد رضوان

أستاذ الأدب والنقد المساعد في كلية اللغة العربية بجرجا

(العدد الثالث والثلاثون – الجزء الرابع ٢٠١٤م)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الصادق فى قيله ، الداعى بالحق إلى سواء سبيله ، والهادى إلى الطيب من القول فى محكم تنزيله ، الذى ثبَّت بتصديق الرؤيا قلب إبراهيم خليله ، وألهم يوسف الصديق علم تفسير الحديث وتأويله .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله ، المبُشَّر برؤيا دخول المسجد الحرام فى قراءته وترتيله، اللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وصحبه، الذين نهلوا من كوثر القرآن ، وعلّوا من سلسبيله .

أما بعد :

فإن القرآن الكريم هو كتاب هو كتاب الله المُعجز ، الذى بهر الأفئدة بروعة فصاحته ، وأسَرَ العقول بجلال بلاغته ، وشرح الصدور عند سماعه وتلاوته .

والقرآن الكريم حافل بالموضوعات المهمة التى تناولها أبلغ تناول ، وعالجها أتم معالجة ، فى أسلوب بلغ من الإعجاز غايته ، ومن البيان ذروته .

تحدث القرآن الكريم عن الرؤيا فى آيات كثيرة ، وقص علينا ألوانًا من الرُّؤَى التى أثَّرت تأثيرًا كبيرًا فى حياة مَن رأوها من الأنبياء وسواهم ، فكانت نقطة تحول فى حياتهم .

وقد رأيت أن يكون هذا الموضوع ميدانًا لدراستى فى هذا البحث ، حيث أحاول الاقتباس من نور القرآن الكريم فى حديثه عن الرؤيا وتأويلها .

وقد جعلت عنوان الموضوع " من جماليات السرد والتصوير الفنى فى حديث القرآن الكريم عن الرؤيا وتأويلها " .

وقد قسمته فصلين :

الفصل الأول : من جماليات السرد فى حديث القرآن الكريم عن الرؤيا وتأويلها : وفيه تحدثت عن بعض جماليات السرد القصصى للرؤيا وتأويلها فى القرآن الكريم مرتبًا الرؤى القرآنية وفق الترتيب الزمنى لها .

الفصل الثانى : من جماليات التصوير الفنى فى حديث القرآن الكريم عن الرؤيا وتأويلها : وفيه عرضت لأهم ملامح التصوير الفنى فى آيات الرؤيا فى القرآن الكريم .

والله أسأل أن يكون عملى هذا خالصًا لوجهه الكريم ، وأن يجعله فى ميزان حسناتى يوم الموقف العظيم .

والله الموفق وهو الهادى إلى الصراط المستقيم

الباحث

تمهيد

الرؤيا : مفهومها وأهميتها

• **مفهوم الرؤيا** :

الرؤيا مصدر من الفعل (رَأَى) ، فإن كان يقظة قيل : رُؤْيَة ، وإن كان منامًا قيل : رُؤْيَا .

وعلى ذلك فالرؤيا : ما يراه النائم فى منامه .

وتُجمع الرؤية على (رُؤَى) .

ففى لسان العرب لابن منظور : والرُّؤْيا ما رأَيْتَهُ فى منامِكَ ، وجَمْع الرُّؤْيَا : رُؤًى بالتنوين [١] .

وفى المعجم الوجيز : الرؤيا : ما يُرَى فى النوم ، والجمع رُؤَى ، والرؤية الإبصار [٢] .

وعلى هذا فالرؤية هى ما يرى النائم فى حال نومه ، لكن هذا التحديد ليس على إطلاقه ؛ لأنه يشمل الحِلْم أيضًا ، فلزم التفريق بينهما .

• **الفرق بين الرؤيا والحِلْم** :

والفرق بين الرؤيا والحِلم أن الرؤيا تكون صادقة ، قابلة للتحَقُّق ، أما الحلم فيتسم بالخلط والتشويش والاضطراب ، وقد استخدم القرآن الكريم مصطلح (الرؤيا) فى مجال الصدق الكامل ، والتحقق المحتوم ، بينما استخدم مصطلح الحلم فى مجال الكذب وعدم الوضوح كما فى قوله (تعالى) على لسان المشركين: ﴿ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ ﴾ [٣] ، وقوله (عز وجل) على لسان ملأ ملك مصر : ﴿ بَلۡ

---

(١) انظر : لسان العرب لابن منظور مادة (رأى) ج ١٤ ص ٢٩٧ – ط دار صادر – بيروت – لبنان – الطبعة الثالثة ١٤١٤ هـ .

(٢) راجع : المعجم الوجيز – إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة – مادة (رأى) ص ٢٥٠ – ط وزارة التربية والتعليم ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م .

(٣) من الآية (٥) سورة الأنبياء .

قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖ ﴾ [1] ، ويلاحظ أن الأحلام اقترنت فى الموضعين بالأضغاث ، والأضغاث جمع ضغث ومعناها فى هذا المقام الأهاويل التى يراها الإنسان فى منامه غير واضحة ولا محددة ولا علاقة لها بالواقع .

(١) من الآية (٤٤) سورة يوسف .

• كيف تقع الرؤيا ؟

قال العلماء إن الرؤيا إدراك يخلقه الله (تعالى) للرائى ، ويخلق له علمًا ناشئًا ويخلق له الذى يراه على ما يراه ليصح الإدراك .

وقيل : إن لله ملكًا يعرض المرئيات على إدراك النائم ، فيمثل له صورًا محسوسة ، فتارة تكون تلك الصور أمثلة موافقة لما يقع فى الوجود ، وتارة تكون لمعانٍ معقولة غير محسوسة ، وهى فى الحالتين مُبَشِّرة أو مُنْذِرَة .

وقيل : إن الإنسان إذا نام تخففت روحه من أثقال الجسم وقيوده ، فانطلقت ترى من عالم الملك والملكوت ما شاء الله لها ، ثم تعود لتخبر عما رأته فى صورة رؤية رمزية ، وقد تؤديه فى صورة حقيقية لا تحتاج إلى تأويل [١] .

وقيل : إن الرؤيا تنشأ من اتصال النفس بالملكوت الأعلى ؛ حيث تتلقى النفس الإلهام ، ويكون ذلك بمثابة الإنذار ، أو الإخبار بما سيكون ، وهذه الرؤية الصادقة [٢] .

وعلى هذا فصاحب الرؤية لابد أن يتسم بشفافية قلبية يقدر بها وعن طريقها أن يتلقى فى منامه نوعًا من الإلهام الذى يجد فى النفس تربة صالحة ، تثمر معانى صادقة ، تكشف عن أشياء غيبية قد تقع فى المستقبل ، وهى فى هذا الجانب علامة على اصطفاء الشخص صاحب الرؤية [٣] .

---

(١) انظر : سلسلة القصص القرآنى للدكتور / حمزة النشرتى وآخرين ١٧ / ٢٣٧ – ط المكتبة القيمة بالقاهرة – دون إشارة إلى تاريخ الطبع .

(٢) راجع : القرآن الكريم كتاب أُحكمت آياته – تأليف / أحمد محمد جمال ٤ / ٢٧ – ط رابطة العالم الإسلامى ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

(٣) انظر : من جماليات التصوير فى القرآن الكريم – تأليف / محمد قطب عبد العال ص ٣٢ – ط الهيئة المصرية العامة للكتاب – الطبعة الثانية ٢٠٠٦ م .

• أهمية الرؤيا :

تمثل الرؤيا جانبًا على قدرٍ من الأهمية فى حياة الإنسان ، فما من أحد إلا ويرى فى منامه رؤى وأحلامًا قد يتذكرها وقد لا يتذكرها ، وإذا تذكرها قد يستطيع استعراض أحداثها وقد لا يستطيع ، وإذا استطاع متابعة أحداثها قد يعرف تأويلها وقد لا يعرف ، وقد يلجأ إلى صديق أو عالم بالتأويل ، فيقص عليه رؤياه وربما دلَّت هذه الرؤى على كثير من الأحداث التى تقع فى المستقبل ، والواقع يحدثنا بالكثير من ذلك ، فالرؤية أمر واقع يشاهده الناس ، بل هى حدث مهم فى حياتهم قد يفرحهم وقد يحزنهم ، وقد يؤرقهم .

وإذا كانت للرؤيا هذه الأهمية فعلى المؤمن أن يستعد لتلقى رؤاه عند نومه وذلك بأن يكون على طهارة ، وأن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ، وأن ينام على جنبه الأيمن وإذا وقعت له رؤيا وقصَّها على من يعبرها له ، فعليه ان يلتزم الصدق فى إخباره ، وألا يُدخل فى رؤياه ما ليس منها ، وعلى المُعَبِّر أن يُحسن الاستماع إلى الرؤيا التى تُقَص عليه ، وأن يتأنى فى إصدار تفسيره لها ، وأن يتلقى من يقُصُّ عليه الرؤيا بقبول حسن ، وعليه أن يعلم أن الرؤيا سر من أسرار صاحبها فلا يذيعه ، وعليه أن يلتمس لها أفضل الوجوه للتعبير [١] .

---

(١) انظر : سلسلة القصص القرآنى ١٧ / ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

وقد دلّت أحاديث نبوية كثيرة على أهمية الرؤيا :

فمن ذلك قوله ﷺ : " أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثًا " [١] .

وقوله ﷺ : " ورؤيا المسلم جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة "[٢] .

وقوله ﷺ : " لم يبق من النبوة إلا المبشرات ، قالوا : وما المبشرات ؟ قال : الرؤية الصالحة " [٣] .

وقوله ﷺ : " الرؤيا من الله والحلم من الشيطان ، فإذا رأى أحدكم شيئًا يكرهه فلينفث حين يستيقظ ثلاث مرات ، ويتعوَّذ من شرّها ، فإنها لا تضره"(٤).

---

(١) الحديث فى صحيح مسلم عن أبى هريرة (رضى الله عنه) برقم ٢٢٦٣ . انظر : صحيح مسلم – تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقى – ط دار إحياء التراث العربى – بيروت – لبنان – دون إشارة إلى تاريخ الطبع .

(٢) الحديث فى سنن الترمذى عن أبى هريرة (رضى الله عنه) برقم ٢٢٧٠ . راجع سنن الترمذى – تحقيق / أحمد محمد شاكر وآخرين – ط الحلبى بمصر – الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .

(٣) الحديث فى صحيح البخارى عن أبى هريرة (رضى الله عنه) برقم ٦٩٩٠ . انظر : صحيح البخارى – تحقيق / محمد بن زهير بن ناصر – ط دار طوق النجاة – الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ .

(٤) الحديث فى صحيح البخارى عن أبى قتادة الأنصارى (رضى الله عنه) برقم ٥٧٤٧ .

• أنواع الرؤيا :

تُقَسَّم الرؤيا إلى أنواع منها :

١ – الرؤيا الصادقة التى تتحقق ، والتى هى جزء من الوحى ، وتكون لأنبياء الله (عليهم الصلاة والسلام) ، وقد تأتى هذه الرؤيا صريحة واضحة كرؤيا إبراهيم (عليه السلام) أنه يذبح ولده ، وكرؤيا النبى ﷺ أنه يدخل المسجد الحرام ، وقد تأتى مضمرة تحتاج إلى تأويل كرؤيا يوسف (عليه السلام) الكواكب تسجد له .

٢ – الرؤيا الصالحة التى هى البشرى ، والتى يدرك صاحبها من خلالها أنه على خير أو صائر إلى خير ، كأن يرى النبى ﷺ ، أو أحدًا من خلفائه الراشدين أو أحدًا من الأولياء والصالحين ، أو يرى نفسه يقرأ قرآنًا ، أو يحج بيت الله الحرام ، أو يزور الروضة الشريفة ... إلى آخر ذلك من الرؤى التى تحمل البشريات الطيبة لصاحبها .

٣ – الرؤيا التى تحمل رمزًا يشير إلى حل مشكلة أو علاج مرض أو نحو ذلك ، ومنه ما يروى أن بعض حكام المغرب مرض مرضًا طويلاً ، وتداوى كثيرًا دون جدوى ، وفى إحدى الليالى رأى النبى ﷺ فى نومه ، فشكا إليه ما يجده من المرض ، فقال له : ادهن " لا " وكل " لا " ، فلما انتبه من نومه حاول أن يفهم تأويل هذه الرؤيا فلم يستطع ، وعرضها على كثير من المعبرين فلم يفهموا كذلك ، وأخيرًا عرضها على أحد علماء القيروان ، فقال له : إن النبى ﷺ يقول لك : ادهن بزيت الزيتون ، وكل زيت الزيتون ، لأن الله (تعالى) يقول : ﴿ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ [١] ، فاستعمل ذلك فصحَّ من مرضه .

---

(١) من الآية (٣٥) سورة النور .

٤ – الرؤيا المحذرة التى تحذر من مكروه سيقع ، ويدخل فى نطاق هذه الرؤيا ما رآه ملك مصر من أنه رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ، وما رآه النمروذ من أن مولودًا يولد فيكيده ، فكان إبراهيم (عليه السلام) ، وما رآه فرعون من أن طفلاً من بنى إسرائيل يولد فيكون هلاكه على يديه فكان موسى (عليه السلام) ، وليس الهدف من تحذير النمروذ وفرعون أنهما أثيران عند الله ، فأخبرهما الله بما رأيا ليحذرا ، بل أخبرهما ليعتبرا ، فازدادوا عُتوًّا وظلمًا ، فحقت عليهما كلمة الله(تعالى) بما يصنعان من سوء [١] .

(١) راجع سلسلة القصص القرآنى ١٧ / ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

الفصل الأول

من جماليات السرد
فى حديث القرآن الكريم عن الرؤيا وتأويلها

١ - رؤيا إبراهيم (عليه السلام) :

يقـــول تعـــالى : ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ (١) .

إن هذه الرؤيا تُمثِّل موقفًا ذا قدر كبير من الأهمية فى حياة إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) ؛ إذ يرى الخليل (عليه السلام) فى المنام أنه يذبح ولده وفلذة كبده وحبيب قلبه (إسماعيل) ؛ إن هذا لأمر جد خطير ، فالرؤية صادقة لا محالة ، إذ هى صادرة من نبى ، فى شأن غلام سيصير نبيًّا كذلك ، ثم إن الرؤيا تتكرر ، لذا عبَّر عنها القرآن بـ (إن) المفيدة للتوكيد ، وبالجملتين الفعليتين (أرى) ، و (أذبحك) الدالتين على الاستمرار والتجدد .

ثم إن الرؤيا صريحة لا رمز فيها ولا إيحاء ولا مجال لتأوُّل ، فهو (عليه السلام) يرى أنه يذبح ولده فى مشهد صريح ، أو يرى ملكًا يأمره بذلك ، وسواء أكان هذا أم ذاك فالرؤية صادقة ، بل هى لون من ألوان الوحى الذى لا يملك (الخليل) أمامه إلا الطاعة والامتثال .

---

(١) الآيات (٩٩ – ١١١) سورة الصافات .

لكنه امتحان صعب وبلاء مبين ، أن يختبر الإنسان فى ابنه الذى طالما انتظر مجيئه للحياة ، وهو اختبار بالفقد ، وأىُّ فقد ؟ إنه فقد يكون الوالد سببًا فيه ؛ إذ مطلوب منه أن يذبحه بيده مع ما فى ذلك من صعوبة بالغة أمام عاطفة الأبوة ، ويزداد الأمر صعوبة أن يكون الأمر بالذبح لإسماعيل فى هذه السن حيث (بلغ معه السعى) إنها مرحلة الرجولة حيث انتهت مرحلة الطفولة التى يحتاج فيها الولد إلى الرعاية والتربية والإنفاق ، ليصير رجلاً يتحمل مع والده أعباء الحياة .

لكن الخليل (عليه السلام) نبى معصوم ، بل هو أبو الأنبياء ، وهو الذى (كان أمَّة) فى صفاته الجليلة وخِلاله النبيلة ، وهو الذى قد أثنى الله عليه بالوفاء ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾ [1] .

لذا يُصرّ الخليل (عليه السلام) على اجتياز هذا الامتحان الصعب ، ويستدعى ولده ليقص عليه الأمر مناديًا إيَّاه بهذا الأسلوب الرقيق (يا بُنَىَّ) الذى جمع بين وصف البنوة والتصغير الدال على الحب ، فى إشارة إلى أن ما سيذكره له لا يتعارض مع هذه أو ذاك ، بل هو أمر الله الذى لا يملك الإنسان إزاءه إلا التسليم ودعمًا لهذه الرقة فى عرض هذا الأمر الصعب يترك الوالد لولده فرصةً للنظر والتروى (فانظر ماذا ترى) مع أن هذا الأمر الإلهى لا مجال فيه للاختيار؛ لأنه يعلم أن الغلام المؤمن الصابر الحليم لا يمكن أن يجادل فى أمر الله (عز وجل) ، وقد كان ذلك ؛ إذ جاء الجواب دون تردد أو تلعثم : ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ .

(١) الآية (٣٧) من سورة النجم .

" إن يتلقى الأمر لا فى طاعة واستسلام فحسب ، ولكن فى رضا كذلك وفى يقين : (يا أبتِ) فى مودة وقربى ، فشبح الذبح لا يزعجه ولا يفزعه ، ولا يفقده رشده ، بل لا يفقده أدبه ومودته (فاعل ما تؤمر) ، فهو يحسُّ ما أحسَّه من قَبْلُ قلبُ أبيه ، يحس أن الرؤيا إشارة ، وأن الإشارة أمر ، وأنها تكفى لكى يلبِّى وينفذ بغير لجاجة ولا تمحُّل ولا ارتياب " (١) .

ولا ينسى الغلام الصابر المطيع وهو فى هذا الموقف الرهيب أن يستمد من مولاه الصبر الذى يتناسب مع جلال الخطب (ستجدنى إن شاء الله من الصابرين) .

ولعل فى استخدام السين الدالة على المستقبل القريب إشارة من إسماعيل (عليه السلام) إلى والده بتعجيل أمر الله ، وهو نفسه ما يلمح من استخدام الفاء الدالة على التعقيب (فلما أسلما) أى انقاد الوالد وولده إلى أمر الله على هذا النحو الشديد على النفس حتى إن إبراهيم (عليه السلام) قد ألقى ولده على جبينه ليذبحه من قفاه كى لا يرى عينيه فتأخذه به شفقة قد تثنيه عن تنفيذ أمر الله فيه .

لقد نجح إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) فى هذا الاختبار العظيم الذى وضعه الله (تعالى) لهما ، ويخبره خالقه بهذا النجاح ، وينزل جبريل (عليه السلام) بكبش من السماء يذبحه الخليل فداءً لولده ، وقد كان نجاح إبراهيم (عليه السلام) عظيمًا بقدر عظم ابتلائه ، لذا وصفه ربه بتصديق الرؤيا وبالإحسان ، وبالإيمان ، وبالتسليم من الرحمن ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا

(١) فى ظلال القرآن لسيد قطب ٥ / ٢٩٩٥ – طبعة دار الشروق – الطبعة السابعة والعشرون ١٤١٩ هـ / ١٩٨٨ م .

عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾

لقد كانت الرؤيا وسيلة لإجراء هذا الامتحان الإلهى الذى اجتازه الخليل بأعلى الدرجات ، فاستحق أن يكون خليلاً لله ؛ إذ صفا قلبه من كل شىء يتنافى مع هذه الخليلية لله (عز وجل) بعد أن آثر حب الله على حب الولد ، واستحق أن تُسطَّر قصته فى كتاب الله الذى يتعبد به المسلمون فى صلواتهم ، واستحق أيضًا أن يحيى المسلمون شعيرته فى عيدهم الأكبر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فيالها من قصة مؤثرة تهز المشاعر وتحرك الوجدان !!

ولله در الشاعر المسلم الذى صوَّر هذه القصة فى أبيات رائعة من الشعر يقول فيها :

فَاضَتْ بالعبرة عيناهُ

أشقاهُ الحُلْمُ وَأَضْنَاهُ

يَنْتَزِعُ الخُطْوة مَهْمُومًا

والكَوْنُ يُتَابِعُ مَسْرَاهُ

والحَيْرَةُ تَثْقِلُ كَاهِلَهُ

وَتُبَعْثِرُ فِى الدَّرْبِ خُطَاهُ

وَصَغِيرٌ جَاءَ عَلَ كِبَرٍ

يَتَعَقَّبُ فِى السَّيْرِ أَبَاهُ

وَيَهِمُّ الشَّيْخُ لِغَايَتِهِ

وَيَشُدُّ فَتَاهُ بِيُمْنَاهُ

بَلَغَـــا فِـــى السَّـــعْى نِهَايَتَـــهُ

والشَّـــــيْخُ يُكَابِـــــدُ بَلْـــــوَاهُ

والمَشْـــــهَدُ يَبْلُـــــغُ ذِرْوَتَـــــهُ

وَأَشَدُّ الأَمْـــــرِ وَأَقْسَـــــاهُ

إِذْ تَمْـــرُقُ عَجْلَـــى كَلِمَـــاتٌ

وَيَقُـــصُّ الوَالِـــدُ رُؤْيَـــاهُ

وَأُمِـــرْتُ بِـــذَبْحِكَ يَـــا وَلَـــدِى

فَـــانْظُرْ فِـــى الأَمْـــرِ وَعُقْبَـــاهُ

وَيُجِيـــبُ الطِّفْـــلُ بِـــلاَ فَـــزَعٍ

افْعَـــلْ مَـــا تُـــؤْمَر أَبَتَـــاهُ

لَـــنْ أَعْصِـــى أَمْـــرًا لإِلَهِـــى

مَـــنْ يَعْصِـــى يَوْمًـــا مَـــوْلاهُ ؟

وَاسْـــتَلَّ الوَالِـــدُ سِـــكِّينًا

وَاسْتَسْـــلَمَ قَلْـــبٌ لِـــرَدَاهُ

أَلْقَـــاهُ بِرِفْـــقٍ لِجَبِـــينٍ

كَـــىْ لاَ تَتَلاقَـــى عَيْنَـــاهُ

أَرَأَيْـــتُمْ قَلْبًـــا أَبَوِيًّـــا

يَتَقَبَّـــلُ أَمْـــرًا يَأْبَـــاهُ

أَرَأَيْـــــتُمْ ابْنَـــــا يَتَلَقَّـــــى

أَمْـــــرًا بِالـــــذَّبْحِ وَيَرْضَـــــاهُ

وَتَهُـــــزُّ الكَـــــوْنَ مَلائِكَـــــةٌ

أَطْهَـــــارٌ بَارَكَهَـــــا اللهُ

تَتَوَسَّـــــلُ لِلْمَـــــلأِ الأَعْلَـــــى

أَرْضٌ ، وَسَـــــمَاءٌ ، وَمِيَـــــاهُ

وَيَقُـــــولُ الحَـــــقُّ وَرَحْمَتُـــــهُ

سَـبَقَتْ فِـى الفَضْـلِ عَطَايَـاهُ

صَـــدَّقْتَ الرُّؤْيَـــا ، لا تَحْـــزَنْ

يَـــــا إِبْـــــرَاهِيمُ فَـــــدَيْنَاهُ [1]

(١) ديوان (جراح الفجر) للشاعر / رشاد محمد يوسف ص ٢٢٩ – ٢٣٢ – ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨ م .

٢ - رؤيا يوسف (عليه السلام) :

يقول (تعالى) عن رؤيا يوسف (عليه السلام) : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾ (١) .

ثم يقول (عز وجل) عن تأويل هذه الرؤيا : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (٢) .

وبين هذه الرؤيا وتأويلها تدور هذه القصة القرآنية العظيمة ، بل تدور حياة نبى الله يوسف (عليه السلام) بكل ما فيها من محنة وابتلاء وصراع ، ثم من تمكين وملك وانتصار ؛ ليرى فى عالم الواقع وهو رجل ما رآه فى منامه وهو غلام .

" لقد كان بين رؤيا يوسف (عليه السلام) وتحقيقها أربعون سنة فى رأى بعض العلماء ، وقيل : اثنتان وعشرون سنة ، لقد رأى رؤياه وهو طفل ، وتحققت بعد أن أصبح رجلاً سويًّا " (٣) .

---

(١) الآيات (٤ – ٦) من سورة يوسف .

(٢) الآية (١٠٠) من سورة يوسف .

(٣) سلسلة القصص القرآنى ١٧ / ٢٧١ – ٢٧٢ .

رأى يوسف (عليه السلام) هذه الرؤية العجيبة وهو صغير لكنه متحقق مما رأى ، فهو يؤكد ذلك (إنى رأيت) ، ويكرر لفظ الرؤية (رأيتهم) لكن عقله الصغير لا يستوعب هذا المشهد ولا يجد تفسيرًا له ، فيلجأ إلى أبيه أقرب الناس منه ، وأحبهم إليه ، ويناديه هذا النداء الرقيق (يا أبتِ) والذى يلائم نفسه الرقيقة وسنه الصغيرة ، وموقف الرهبة الذى يعيشه .

نعم لقد كانت مفردات المشهد الذى رآه تبعث الرهبة ، فهذه الكواكب الكثيرة ، والشمس والقمر تتراءى جميعًا فى مكان واحد بل يبرح مكانها فى السماء لتكون على مقربة منه ، بل تكون له فى حال السجود والإجلال ، لم يكن الغلام يعلم أن هذه الأجرام العظيمة المهيبة إن هى إلا رموز لأهله الذين يألفهم ويعيش بينهم .

فالكواكب الأحد عشر هم إخوته ، والشمس أبوه ، كما يتضح من سياق القصة وكما يؤكده مشهد التأويل .

أما القمر فقيل إنها أمه (راحيل) أخذًا بظاهر قوله تعالى :﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ لكن التاريخ يثبت أن أمه ماتت وعمره أقل من عشر سنوات كما أنها لم تذكر فى القصة من أولها إلى آخرها .

وقيل : إن المراد خالته (ليئة) شقيقة أمه وزوجة أبيه ، وقيل إن المقصود بها السيدة (بَلْهَة) جارية أمه (راحيل) لأنها هى التى ربته بعد موت أمه ، وكان يوسف (عليه السلام) يسميها أما له .

وقد حاول بعضهم أن يلتمس تعليلاً لهذا الرمز فى الرؤية بأنها رمزت لأخوة يوسف بالكواكب لأنها لا تضىء بذاتها بل تستمد ضوءها من الشمس ، وهم يستمدون علمهم وحكمتهم من والدهم الذى رمزت له الرؤية بالشمس أيضًا كما أن الكواكب سيارة وهذا كان حال أخوة يوسف ، فقد قضوا معظم حياتهم فى الانتقال والترحل ، وأيضًا فإن الكواكب بعضها يضىء وبعضها لا يضىء ، وهذا رمز لخيرية

بعض إخوة (يوسف) ؛ إذ لم يكونوا أشرارًا كلهم ، إذ كان منهم من رقَّ قلبه لأخيه وحاول أن يثنى إخوته عن قتله .

أما وصف زوجة (يعقوب) بأنها قمر لأن ضوءه مستمد من ضوء الشمس (يعقوب عليه السلام) ، ولأن ضوء القمر أضعف بكثير من ضوء الشمس كما أن المرأة أضعف من الرجل [١] .

كان يعقوب (عليه السلام) يعلم أن هذه الرؤيا تحمل البشرى لغلامه الصغير وتنبئ أنه سيكون له شأن عظيم ، لكنه كان أيضًا يعلم مدى غيرة إخوة يوسف منه ، فطلب إليه ألا يقص عليهم هذه الرؤية لما فيها من بشارة واضحة بمكانته العظيمة التى سيئول إليها ، ولأنها أيضًا تشير إلى غلبته وتفوقه عليهم ، فهم المقصودون بالكواكب الأحد عشر التى ستخر سجدًا ليوسف .

لذا ينهى يعقوب (عليه السلام) غلامه عن أن يقصص رؤياه على إخوته مستخدمًا هذا الأسلوب الرقيق المبتدئ بالنداء اللطيف (يا بنى) بما فيه من تصغير المنادى تدليلاً وعطفًا ، وبما فيه من إضافة إلى ياء المتكلم حنانًا وشفقة ، ثم هذا الفك لتضعيف الفعل (تقصص) مبالغة فى التحذير من أن يروى مما رأى شيئًا ، وإضافة الرؤيا إلى كاف الخطاب (رؤياك) وكان فى الإمكان أن يقول (الرؤيا) للإشعار بأن هذه الرؤيا رؤياه هو ، ومبشرة بتمكين الله له هو ، فهى أشبه بالكنز الذى ينبغى ستره بالكتمان ، ويذكر يعقوب الوالد الحكيم العالم بأحوال أبنائه ونفسياتهم العلة فى ذلك (فيكيدوا) لك كيدًا مذكرًا بوسوسة الشيطان وكيده (إن الشيطان للإنسان عدو مبين) .

إن هذه النصيحة من يعقوب (عليه السلام) لغلامه تعد تفسيرًا غير

---

(١) انظر : سورة يوسف : قراءة تحليلية للدكتور / أحمد عطا إبراهيم حسن ص ٤١ ، ٤٢ – ط دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠٠٧ م .

مباشر للرؤيا ، فهو يدرك أنها تنبئ عن المكانة العظيمة لابنه الصغير ، وأن الله سوف يسبغ عليه نعمة الحكم والنبوة كما أسبغها على آبائه من قبل : ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

ويلاحظ هنا أن إضافة كلمة (رب) على الكاف فى قوله (ربك) تبين فهم الأب للصلة الوثيقة بين يوسف (عليه السلام) وبين الله (تعالى) إذ لم يقل: وكذلك يجتبيك الله ، وعلى ذلك يكون المعنى : يختارك ، ويصطفيك ، ويدنيك منه ويجمعك إليه ، ويقتطعك من دون العالم إلى حضرته [١] .

وقد يتبادر إلى الذهن سؤال : لماذا لم تذكر الآية يعقوب (عليه السلام) فى من أتم الله نعمته عليهم ، والله (عز وجل) قد أتم نعمته عليه هو أيضًا ؟ والجواب : أن المتحدث هنا هو يعقوب (عليه السلام) نفسه ، وهو لم يشأ أن يزكى نفسه تواضعًا منه ، مصداقًا لقوله (تعالى) : ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾ [٢] ، ومما يدل على ذلك قوله (عليه السلام) بعد ذلك عن نفسه : ﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ [٣] .

لقد أدرك يعقوب (عليه السلام) أن رؤيا ابنه لا يمكن أن تكون أضغاث أحلام على الرغم من أن يوسف (عليه السلام) كان صغير السن ، بل هى رؤيا تنبئ أنه قد اصطُفى لأمور عظام ، وتدل أنه سيحل فى منزلة دينية عالية ، وليس

---

(١) انظر : مؤتمر تفسير سورة يوسف لعبد الله العنزى الدمشقى ١ / ٢٢٧ – ط دار الفكر – دمشق ١٩٦١ م .

(٢) من الاية (٣٢) سورة النجم ، وانظر : سورة يوسف قراءة تحليلية ص ٥٢ .

(٣) من الآية (٣٨) سورة يوسف .

وراء منزلة النبوة منزلة ، كما أنه سينال شيئًا من الملك أيضًا [١] .

وما أجمل ختام الكلام بجملة : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ أى عليم بما يستحق ممن لا يستحق ، وعليم حيث يضع رسالته ، وحكيم فى اختياره ، وما أروع هذا التناسق البديع بين قوله (ويعلمك) وقوله (إن ربك حكيم عليم) ، وبين قوله (يجتبيك) ، وقوله (حكيم) ففى هذا التناسق دلالة على حكمة الله (سبحانه وتعالى) ، وفيه أيضًا دلالة على لدنية العلم اليوسفى ، وأنه علم موهوب غير مكتسب بل مصدره هو (العليم الحكيم) [٢] .

وتمضى قصة يوسف (عليه السلام) بما فيها من أحداث كثيرة ، وتفاصيل عديدة ، ومحن ومنح ، تمضى جميعها فى سبيل تحقق هذه الرؤيا التى رآها وهو غلام وفى سبيل الوصول إلى هذه المكانة العظيمة التى رأى يوسف (عليه السلام) فى الرؤيا رمزًا لها ، لتصل القصة إلى مشهد النهاية ، مشهد التأويل الصريح للرؤيا :﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾.

إنَّ يوسف (عليه السلام) هنا يذكِّر أباه بالرؤيا التى رآها وهو صغير وكيف أن الله (عز وجل) قد حققها كاملة بعد كل هذه السنوات الطويلة ، ثم يطنب فى تفصيل نعم الله (عز وجل) عليه فى حين يستخدم الإيجاز والتعميم فى حديثه عن إساءة إخوته له (نزغ الشيطان بينى وبين إخوتى) ، بل يسند الإساءة

---

(١) راجع : الوحدة الموضوعية فى سورة يوسف لمحمد حسن باجودة ص ١٣٢ – ط دار تهامة – جدة – السعودية ١٤٠٣ هـ .

(٢) انظر : سورة يوسف – قراءة تحليلية ص ٥١ .

إلى الشيطان حتى لا يحرجهم ، ويلاحظ أنه قال (أحسن بى) ولم يقل (أحسن إلىَّ) لأنه أراد أن يقول إن الإحسان كان ملاحقًا (بى) ملازمًا لى طوال حياتى فى أوقات الضيق قبل أوقات الفرج ، لأن المحن هى التى أدت إلى الخير ، والعسر هو الذى أفضى إلى اليسر ، فلولا إلقاؤه فى الجب ما اشتراه العزيز ، ولولا دخوله القصر ما اطلع على نظام الحكم ولولا ظلمات السجن لما رأى أولى مقدمات النور والجاه ، ولولا نسيان الساقى لأمره لما خرج موفور الكرامة مرفوع الرأس [١] .

لقد ختمت قصة يوسف (عليه السلام) بتحقيق رؤياه فى مشهد ملكى مهيب ، وهو ختام فنى دقيق لا تحتمل الحبكة الفنية بعده شيئًا ، فقد استُهلت برمز فنى هو الرؤيا ، وانتهت بتأويل هذه الرؤيا وتحققها على أرض الواقع ، وهنا أنهى السياق القرآنى القصة الفنية بهذه النهاية المحكمة [٢] .

(١) انظر : سورة يوسف – قراءة تحليلية ص ٣٦١ ، ٣٦٢ .

(٢) انظر : بلاغة السرد القصصى فى القرآن الكريم : قصة يوسف نموذجًا (قراءة فى ضوء مفاهيم السرد المعاصر) للدكتور / إبراهيم عبد المنعم إبراهيم ص ١٢٢ ، ١٢٣ – ط مكتبة الآداب – الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م .

٣ - رؤيا السجينَين

يقول (تعالى) عن رؤيا السجينين الذين صاحبا يوسف (عليه السلام) فى سجنه : ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (١) .

ويقول (عز وجل) عن تأويل يوسف (عليه السلام) لرؤيا كل منهما : ﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًاۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ (٢) ، تعد هذه الرؤيا ذات خصوصية ، فهذا هو الموضع الوحيد الذى يحكى فيه القرآن الكريم رؤيا أحد غير نبى كريم أو مَلِكٍ عظيم ، إنها رؤيا تخص اثنين من عامة الناس ، بل هما سجينان ربما ارتكبا جريمة أو ذنبًا ، لكن إيراد هذه الرؤيا لكل من السجينين ، وإيراد تأويلها فى القرآن الكريم أمر له مغزى ، وهو أمر يخدم السياق القصصى والبناء الفنى لقصة يوسف (عليه السلام) من وجوه أحدها : أن هذه الرؤيا وتأويلها على يد يوسف (عليه السلام) يعد تطبيقًا عمليًّا لما أنعم الله (تعالى) به على نبيه يوسف (عليه السلام) والذى أشارت إليه السورة قبل ذلك : ﴿ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾ (٣) ، وفى ختام القصة : ﴿ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾ (٤) .

ومنها : أن هذه الرؤيا قد أتاحت الفرصة ليوسف (عليه السلام) لأن يدعو أهل السجن إلى الله (عز وجل) ، وقد نقل لنا القرآن الكريم جانبًا من هذه

---

(١) الآية (٣٦) سورة يوسف .

(٢) الآية (٤١) سورة يوسف .

(٣) من الآية (٦) سورة يوسف .

(٤) من الآية (١٠١) سورة يوسف .

الدعوة : ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴾ (١) ، وهذا النقل يجدد هذه الدعوة لكل من يقرأ القرآن الكريم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، كذلك فإن مقدرة يوسف (عليه السلام) على تأويل هذه الرؤيا يعد نقطة التحول الرئيسة فى حياته ، إذ انتقل بسببها من عالم السجن والذل والعبودية إلى عالم الحرية والعزة والملك وإلى البراءة مما رمى به زورًا وبهتانًا ، فبسبب هذه الحادثة يعلم الملك مقدرته على تأويل الرؤى فيرسل إليه لتأويل رؤياه ، وبعد نجاحه فى ذلك يصطفيه ويجعله على خزائن الأرض .

ويلاحظ أن البيان القرآنى لم يذكر عن هذين السجينين إلا أنهما (فتيان) وأنهما قد دخلا معه السجن فهما فى مثل سنه ، وقُدِّر لهما أن يدخلا فى السجن نفسه الذى أودع فيه ، وفى اليوم نفسه كذلك ، وقد يكون هذا من رحمة الله بنبيه يوسف (عليه السلام) ليؤنس هذان الغلامان وحدته .

وقد ذكر ياقوت الحموى فى معجمه أن مكان سجن يوسف (عليه السلام) كان فى قرية (بوصير) بصعيد مصر (٢) .

كما تذكر بعض الكتب أن السجينين هما رئيس السقاة واسمه (نَبُّو) ، ورئيس الخبازين واسمه (ملجب) وقيل : إن سبب سجنهما الاتهام فى قضايا وطنية (٣) .

ويطوى السرد القرآنى أيامًا قضاها يوسف وصاحباه فى السجن ليصل إلى النقطة المهمة وهى مشهد السجينين وهما يقصان على يوسف (عليه السلام)

---

(١) الآية (٣٩) سورة يوسف .

(٢) انظر : معجم البلدان لياقوت الحموى ٥ / ١٧ – ط دار صادر – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية ١٩٩٥ م .

(٣) راجع : سورة يوسف – قراءة تحليلية ص ١٧٥ .

رؤياهما ، وهى رؤيا سردها القرآن الكريم فى إيجاز : ﴿ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُ ﴾ لقد عبر كل راءٍ عن رؤياه بأسلوب متشابه يصدره بقوله (إنى أرانى أفعل) وهو أسلوب يدل بتأكيده وباستخدامه ضمير المتكلم ، والجملة الفعلية الدالة على التجدد والاستمرار ، يدل بهذا كله على أن الرؤيا تتكرر وتؤرِّق وتشغل الفكر ، وإلا فما الذى يجعلهما يطلبان من يوسف (عليه السلام) تأويل ذلك مع أنهما لم يعهداه قد أوَّل الرؤى من قبل ؟ ! حتى ما وصفاه به من قولهم : (إنا نراك من المحسنين) ليس كافيًا لهما فى هذا الطلب ؛ فإن الإحسان وطيب الخلق شىء وتأويل الرؤى شىء آخر له قواعده وأصوله.

قد يكون الفراغ الذى يعيشه السجينان وتأريق الرؤيا لهما سببًا فى بثها ليوسف (عليه السلام) من باب حديث الرفاق بعضهم مع بعض لاسيما فى هذا السجن الموحش .

بل لعل الله (عز وجل) قد ألهمهما ذلك لتسير أحداث القصة فى طريقها المقدر لها .

لكن يوسف (عليه السلام) لا يجيب الفتيين بتأويل الرؤيا مباشرة ، بل ينتهز الفرصة للدعوة إلى الله (عز وجل) ويستغل شوق السجينين لذلك ، فيستطرد فى النصح والإرشاد مستخدمًا هذا الأسلوب الرقيق (يا صاحبى السجن) ثم تحين اللحظة المرتقبة لحظة تأويل الرؤيا ، لتحمل مفاجأة بل مفاجأتين إحداهما سارة للأول والآخرة محزنة لصاحبها ، فينطق (عليه السلام) بالتأويل مستخدمًا الأسلوب الرقيق نفسه (يا صاحبى السجن) ربما لتخفيف وقع المفاجأة : ﴿ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦ ﴾ ربما كان السجينان يتوقعان أن تأويل الرؤيا لهما سيكون متشابهًا بقدر تشابه الرؤيا لاسيما

وأن كلا منهما رأى ما يناسب مهنته ، فالساقى رأى عصير العنب ، والخباز رأى الخبز،بل إنهما قالا ليوسف (عليه السلام) ﴿ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ﴾ وليس بتأويلهما.

ويلاحظ هنا أن يوسف (عليه السلام) لم يشر إلى صاحب كل رؤيا فى تأويله ، بل استخدم لفظى (أحدكما) و (الآخر) اعتمادًا على ترتيب قصَّ الرؤيا فالتأويل الأول لمن قص رؤياه أولاً ، والثانى لمن قصها ثانيًا ، واعتمادًا على مناسبة كل تأويل لرؤياه ، فالسقى والخمر فى التأويل يناسبان العصر فى الرؤيا الأولى الأكل والطير موجودان فى كل من الرؤيا الثانية وتأويلها ، وأيضًا فإن مهنة كل من السجينين تدلان على ذلك بشكل واضح .

ثم يختتم (عليه السلام) تأويله بقوله : ﴿ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ مشيرًا إلى أن هذا المصير أمر نافذ لا مفر منه لأنه إنما أخبرهما عن علم الله الذى وسع كل شىء علمًا .

٤ - رؤيا ملك مصر :

يقول (تعالى) عن رؤيا ملك مصر وتأويل يوسف (عليه السلام) لها :

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ (١) .

تأتى أهمية هذه الرؤيا من أنها تعد نقطة التحول الرئيسة فى حياة يوسف (عليه السلام) ، فبسبب قدرته على تأويلها ، يخرج من السجن ، وتظهر براءته ويصطفيه الملك ، ويجعله على خزائن الأرض ، كما كانت هذه الرؤية سببًا فى إيمان الملك برسالة يوسف (عليه السلام) ، كما كانت أيضًا سببًا فى إنقاذ مصر وأهلها من القحط والمجاعة .

ونظرًا لهذه الأهمية للرؤيا يوردها القرآن الكريم مفصلة على صورة لا مثيل لها فى جميع الرؤى التى أوردها ، كما يذكرها القرآن الكريم مرتين بإحداهما على لسان الملك (وقد ورد أن اسمه الريان بن الوليد) وهو يخاطب ملأه ملتمسًا فيهم من يستطيع عبرها ، والأخرى على لسان السجين الناجى وهو يخاطب يوسف (عليه السلام) طالبًا منه تأويلها .

---

(١) الآيات (٤٣ : ٤٩) من سورة يوسف .

وتأتى هذه الرؤية فى أول مشهد يظهر فيه الملك فى قصة يوسف (عليه السلام) ، وواضح أن هذه الرؤية قد شغلت عقله ، وملكت عليه تفكيره ، وهى تتكرر له ؛ لذا يوردها بصيغة التأكيد (إنى) وبالفعل المضارع الدال على التجدد واستمرار (أرى) ، والرؤية قائمة على الرمز فهو يرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع بقرات أخرى هزيلات ، وهو مشهد صعب مخيف إلى جانب أنه غير منطقى ، فالذى يبدو أكثر منطقية أن تأكل السمانُ العجافَ ، لذا بدا المشهد غامضًا يعوز إلى تفسير .

كما رأى الملك سبع سنبلات خضر وأخر يابسات فى صورة رمزية أخرى تحتاج إلى التأويل لاسيما مع افتقادها عنصر الحركة الموجود فى الصورة الأولى اللهم إلا ما ذكر من أنه (عليه السلام) رأى سبع سنبلات خضر التوت على سبع سنبلات يابسات فمات حبها .

حُقَّ للملك أن يفزع من هذه الرؤيا العجيبة ، وحُقَّ له أن يجمع كبار رجاله يلتمس منهم تأويلها ، لكنهم عجزوا جميعًا قائلين إنها : ﴿ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴾ ، وفى هذه اللحظة الحرجة يتذكر السجين الناجى (كبير السقاة) ما كان من أمر يوسف (عليه السلام) وقدرته على تفسير رؤياه ورؤيا صاحبه على صورة أثبت الواقع صدقها ، فيخبر الملك الذى لا يتردد فى إرساله إليه بسرعة بالغة نلحظها من خلال أسلوب السرد القرآنى الذى يطوى المشاهد ليرينا الرجل وهو يقص الأمر على يوسف (عليه السلام) واصفًا إياه بالصديق ، وهو وصف عرفه من خلال المدة التى قضاها معه فى السجن ، ولعله بذلك يستعطفه ، ويلفت نظره إلى سبب اختياره لهذه المهمة وهو اتصافه بالصدق وبعد أن يقص عليه الرؤية ينبهه إلى خطورة الأمر ، وأنها ليست مجرد رؤيا عادية ، فهى تخص ملك مصر ، وقد تتعلق بمصير البلاد كلها ، ثم إن الجميع ينتظرون التأويل الذى

قد تترتب عليه أمور خطيرة :﴿ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ .

ودون تفكير أو روية ، بل بعلم الله اللدنى يفسِّر يوسف (عليه السلام) الرؤية قائلاً : يأتيكم الخصب والمطر سبع سنين متواليات ، ففسر البقر بالسنين لأنها تثير الأرض التى تشتغل منها الثمرات والزروع وهى السنبلات الخضر ، ثم أرشدهم إلى ما يعدونه فى تلك السنين من أنهم يدخرون الحب فى سنبله ليكون أبقى له ، وأبعد عن إسراع الفساد إليه ، إلا المقدار الذى يأكلونه وليكن قليلاً ، لينتفعوا بالحب فى السبع الشداد التى تعقب هذه السبع ، وهُنَّ البقرات العجاف لأن سنى الجدب يؤكل فيها ما جمعوه فى سنى الخصب ، وهذه السنبلات اليابسات ثم بشرهم بعد الجدب العام المتوالى بأنه يعقبهم بعد ذلك عام فيه يأتى الناس الغيث ، وتغل البلاد ، ويعصر الناس ويحلبون [1] .

وكان أن تحققت الرؤيا كما فسرها يوسف (عليه السلام) ، وواضح أنه يسير فى تأويل هذه الرؤيا على المنهج نفسه الذى فسر به رؤيا السجينين وهو قوله: ﴿ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ ﴾ ، فهو لا يعتمد فى الاجتهاد الفردى أو الخبرة الشخصية بل يستمد معرفته من العلم اللدنى ، ومما يدل على ذلك أنه أخبر عن العام الذى يغاث فيه الناس ، وهذا العام لم ترد إليه إشارة فى الرؤيا ، كما أنه لا يكتفى بالتفسير والتأويل ، بل يقرن بذلك النصح والإرشاد إلى ما فيه الخلاص من الأزمة : ﴿ فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴾ ، هذه النصيحة التى لا تقتصر على زمن تأويل الرؤيا ، بل تنسحب إلى كل زمان ومكان فهى دعوة صريحة يوجه بها القرآن الكريم الإنسان إلى أن يزرع بعناية ورعاية ودأب ؛ حتى يجنى ثمرة

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤ / ٣٣٦ – ط دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م .

هذا الجهد الشاق إنتاجًا وخيرًا غزيرًا ، وأن يحاول جاهدًا توفير ما يفيض عن الحاجة لمواجهة الظروف الطارئة التى قد تحيط به فى المستقبل ويحتاج فيها إلى الاستهلاك ، فلا يجد إلا ما سبق أن ادخره .

كما تتجلى فى هذه الرؤيا رمزية اللون الأخضر ، فالسنبلات الخضر فى الرؤيا يقابلها السنبلات اليابسات ، أى أن الأخضر يعنى النمو والخصوبة والنضارة والأمل والحياة ، فى مقابل اليابس الذى يعنى عكس ذلك جميعًا : الجدب والعقم والأفول واليأس والموت ، فاللون الأخضر رمز النمو والخصوبة والحياة [١] .

(١) راجع : الرسم بالألوان فى القرآن لأحمد رأفت ص ١٨٤ – ط دار الجميل للنشر والتوزيع والإعلام – دون إشارة إلى تاريخ الطبع .

٥ - رؤيا رسول الله ﷺ التى جعلها الله (عز وجل) فتنة للناس :

يقول تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾ (١) .

يُعَدُّ هذا الموضع أكثر مواضع الرؤيا إيجازًا فى القرآن الكريم ، إذ اكتفى الذكر الحكيم بالإشارة إلى الرؤية مكتفيًا بتعريفها بالموصولية (الرؤيا التى أريناك) وأن الله (عز وجل) جعلها فتنة للناس ، دون أن يحدد البيان القرآنى حقيقة تلك الرؤيا .

وقد اختلف المفسرون فى بيان هذه الرؤيا ؛ فقيل : هى رؤيا عين أُريها رسول الله ﷺ ليلة أُسرى به إلى بيت المقدس ثم رجع من ليلته ، فكانت فتنة لهم .

وقيل : هى رؤيا منامية وهى أنه ﷺ رأى أنه أُدخِل مكة هو وأصحابه وهو يومئذ بالمدينة ، فعجَّل رسول الله ﷺ السير إلى مكة قبل الأجل ، فردَّهُ المشركون ، فقال أُناس: قد رُدَّ رسول الله ﷺ وقد كان حدثنا أنه سيدخلها، فكانت رجعته فتنتهم .

وقيل : إنما كان رسول الله ﷺ رأى فى منامه قومًا يعلون منبره (٢) .

وقيل : إن الله (عز وجل) أرى رسوله ﷺ فى المنام مصارع كفار قريش فى بدر ، فحين ورد ماء بدر قال : والله كأنى أنظر إلى مصارع القوم ، ثم أخذ يقول : هذا مصرع فلان ، وهذا مصرع فلان ، فلما سمعت قريش ذلك جعلوا رؤياه سخرية (٣) .

---

(١) الآية (٦٠) من سورة الإسراء .

(٢) انظر : جامع البيان فى تأويل آى القرآن لابن جرير الطبرى ٩ / ١٤٠ ، ١٤١ – ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م .

(٣) انظر : تفسير الفخر الرازى المشهور بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ١٠ / ٢٣٨ – ط دار

وقد وردت الإشارة إلى هذه الرؤيا – على الاختلاف فى ماهيتها – فى هذا السياق الموجز مسبوقة بإخبار النبى ﷺ أن الله (تعالى) أحاط بهؤلاء المكذبين المستهزئين من كفار قريش ، فهم فى قبضته (عز وجل) وهو القادر على إهلاكهم متى شاء ، كما جاءت الرؤيا متبعة بذكر (الشجرة الملعونة فى القرآن) معطوفة على هذه الرؤيا ، ومشتركة معها فى كونها فتنة أى اختبارًا وامتحانًا لهم ، لكنهم كما كذبوا بالرؤيا واستهزءوا بها ، كذبوا واستهزءوا كذلك بشجرة الزقوم .

يقول الإمام القرطبى : وفتنتها أنهم لما خُوِّفوا بها قال أبو جهل استهزاءً: هذا محمد يتوعدكم بنار تحرق الحجارة ، ثم يزعم أنها تنبت الشجر ، وما نعرف الزقوم إلا التمر والزبد ، ثم أمر أبو جهل جارية فأحضرت تمرًا وزبدًا وقال لأصحابه : تزقموا ، وقد قيل : إن القائل : ما نعلم الزقوم إلا التمر والزبد ابن الزبعرى ، حيث قال : كثَّر الله من الزقوم فى داركم ؛ فإنه التمر بالزبد فى لغة اليمن ، وجائز أن يقول كلاهما ذلك ، فافتُتن أيضًا بهذه المقالة بعض الضعفاء فأخبر الله (تعالى) نبيه ﷺ أنه إنما جعل الرؤيا وذكر شجرة الزقوم فتنة واختبارًا ليكفر من سبق عليه الكفر ، ويصدق من سبق له الإيمان [1] .

الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م .

(١) انظر : تفسير القرطبى الجامع لأحكام القرآن ٦ / ٣٨٩٩ – ط دار الريان للتراث بالقاهرة – دون إشارة إلى تاريخ الطبع .

ويلاحظ هنا أن البيان الحكيم لم يتوقف كثيرًا عند الرؤيا ولم يهتم بتفاصيلها ، وإنما اهتم بالأثر المترتب عليها وهو تكذيب قريش واستهزائها بذلك ولعل القرآن الكريم أراد أن يقيم الحجة على هؤلاء الذين يتصدون لآيات الله وبراهينه بالصد والكفران بدلاً من الإقرار والإذعان (ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانًا كبيرًا) .

٦ - رؤيا رسول الله ﷺ عدد المشركين قليلاً يوم بدر :

يقول تعالى : ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ (١) .

كانت هذه الرؤيا لرسول الله ﷺ يوم بدر ، حيث أراه الله (عز وجل) فى منامه عدد المشركين قليلاً قبل التحامه والمؤمنين معهم ، وفى ذلك تثبيت للنبى ﷺ وللمؤمنين ، لأنه من الطبعى أن يقص الرسول ﷺ الرؤيا على المجاهدين معه فيثبتوا ، ويطمئنوا ، ويثقوا فى نصر الله .

ومن هنا تأتى أهمية هذه الرؤيا إذ كانت عاملاً مهمًّا من عوامل التثبيت والنصر للمؤمنين فى أول لقاء بين الإيمان والكفر ، فكان النصر ، وكان التمكين لدين الله فى الأرض .

ويلاحظ أن الأسلوب القرآنى استخدم الجملة الفعلية (يريكهم) وقد يكون فى هذا إشارة إلى تكرار الرؤيا للتثبيت والطمأنينة ، أو هو من قبيل استحضار الصورة الماضية وبخاصة أن الآية صدرت بـ (إذا) الدالة على محذوف تقديره (اذكر) ، كما يلاحظ أن البيان القرآنى عبر عن الرؤيا بالمنام (فى منامك) وذلك لحدوثها فيه .

وقد كانت هذه الرؤيا صريحة لا رمز فيها ولا تأويل ، كما جاءت متبوعة بذكر السبب وهو أن الله (عز وجل) لو أرى رسول الله ﷺ عدد المشركين كثيرًا لأدى ذلك إلى اضطراب المؤمنين وفشلهم وتنازعهم ، وهو (سبحانه) عليم بذات

---

(١) الآيتان (٤٣) ، (٤٤) من سورة الأنفال .

صدورهم فكتب لهم ما فيه أمنهم وسلامتهم : ﴿ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ .

ولم تذكر الرؤيا تحديدًا مقدار هذه القلة التى كان عليها المشركون ، لكن من الواضح أنها قلة تطمئن معها قلوب المؤمنين فلا يخافون عددهم .

وقد ذكرت بعض كتب التفسير روايات تحدد مقدار ذلك ، فمثلاً أورد ابن كثير فى تفسيره رواية عن ابن مسعود (رضى الله عنه) يقول فيها : " لقد قُللوا فى أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل إلى جنبى : تراهم سبعين ؟ قال : لا ، بل هم مائة ، حتى أخذنا رجل منهم فسألناه ، فقال : كنا ألفًا " [1] .

وزيادة فى تثبيت المؤمنين وطمأنتهم جمع الله (تبارك وتعالى) إلى هذه الرؤيا المنامية لرسوله ﷺ رؤية بصرية لهم عند التقائهم ، فرآهم المؤمنون قليلاً أثناء قتالهم إياهم ، كما أرى الله الكافرين عدد المؤمنين قليلاً كذلك ؛ ليطمع كل من الفريقين فى الآخر ، حتى يتم ما كتبه الله (عز وجل) وقضاه من انتصار المؤمنين على عدوهم نصرًا مؤزرًا .

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤ / ٦١ .

٧ - رؤيا رسول الله ﷺ دخول المسجد الحرام :

يقول تعالى : ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (١) .

هذه الرؤيا تمثل حادثًا مهمًّا فى حياة النبىﷺ بل فى التاريخ الإسلامى كله ؛ إذ هى تبشر بفتح مكة ، ذلك النصر المبين ، والحادث الفارق فى حياة الأمة الإسلامية .

ويبدأ السياق القرآنى بذكر البشارة بتحقق الرؤيا وتصديقها قبل ذكر الرؤيا نفسها ، بل ساق القرآن الكريم الرؤيا وتحققها فى أسلوب واحد ، فهى رؤيا صريحة مباشرة حيث رأى النبىﷺ أنه يدخل المسجد الحرام هو وأصحابه، آمنين لا يخافون ، وبعضهم محلق رأسه وبعضهم مقصر .

وقد بدأت الآية بأسلوب التأكيد باللام وقد (لقد) ، ثم باللام والنون المشددة (لتدخلن) إشارة إلى حتمية تحقق الرؤيا ووقوعها ، ثم ذكرت الآية الكريمة لفظى (صَدَق) ، (الحق) للدلالة على صدق الرؤيا وكونها حقًّا ، كما عبر عن أمن المؤمنين حين دخولهم البيت الحرام بأسلوبين أحدهما (آمنين) والآخر (لا تخافون) للتأكيد على ما سيكونون عليه حين دخولهم مكة من أمن عظيم، لا ينتابهم معه أى شعور بالخوف ، ويلاحظ أنه حُذف معمول (لا تخافون) ليشمل كل ما يمكن أن يخشى منه .

---

(١) الآية (٢٧) من سورة الفتح .

أما قولـه تعالى : (إن شاء الله) فقد ذكر فيه صاحب الكشاف وجوهًا منها :

- أنه الله (عز وجل) عَلَّق وعده بالمشيئة تعليمًا لعباده أن يقولوا فى وعودهم مثل ذلك متأدبين بأدب الله ومقتدين بسنته .
- أو معناه : لتدخلن المسجد الحرام جميعًا إن شاء الله ولم يمت منكم أحد .
- أو كان ذلك على لسان ملك،وقوله (إن شاء الله) ذكر على لسان ذلك الملك .
- أو هى حكاية ما قاله الرسول ﷺ لأصحابه ، وقصَّه عليهم .
- أو هو متعلق بـ (آمنين) أى آمنين إن شاء الله [١] .

وقوله (سبحانه) : (فعلم ما لم تعلموا) أى من المصلحة المتجددة فى تأخير دخول المسجد الحرام إلى العام التالى ؛ حيث إن الله (عز وجل) جعل فى ذلك العام فتحًا آخر قبل فتح مكة هو صلح الحديبية أو فتح خيبر [٢] .

ولا يخفى ما أفاده طباق السلب بين (علم) و (لم تعلموا) من تأكيد المعنى وتوضيحه فضلاً عن الإيقاع الموسيقى الواضح .

(١) انظر : الكشاف للزمخشرى ٣ / ٤٦٨ – ط دار المعرفة – بيروت – لبنان – دون إشارة على تاريخ الطبع .

(٢) راجع : تفسير الفخر الرازى ١٤ / ١٠٧ .

الفصل الثانى

من جماليات التصوير الفنى
فى حديث القرآن الكريم عن الرؤيا وتأويلها

•• التصوير الفنى من سمات المنهج التعبيرى المعجز للقرآن الكريم :

يعد التصوير الفنى وسيلة مميزة من وسائل القرآن الكريم ومنهجه التعبيرى المعجز .

والتصوير فى القرآن الكريم منهج كامل وطريقة متبعة لا تخطئها العين ، مما يصبح ظاهرة أدبية لها تميزها وتفردها ومجالها الخاص ، إنه يحول الألفاظ والتراكيب إلى صور عامرة بالحياة والحركة مما يعطى للصورة الأثر النفسى ، كما يعطى للمعنى الدلالة المصاحبة للصورة فى إبراز مجسم للمعنى المراد .

ولا يقف التصوير الفنى عند حدوده البلاغية المعروفة من تشبيه أو مجاز أو كناية ، وإنما يتعدى ذلك كله إلى كلية الصورة التى يرفدها الجرس اللفظى ، والتآلف الصوتى ، والتجانس النغمى ، وموسيقا السياق كله ، فضلاً عن إثارة مجالات الحس والذهن [١] .

إن التصوير هو الأداة المفضلة فى أسلوب القرآن الكريم ، وهو ليس حلية فى الأسلوب فقط،إنما هو مذهب مقرر ، وخطة موحدة ، وخصيصة شاملة ، وطريقة معينة .إنه تصوير حى نابض بالحياة،لا ألوان مجردة ، وخطوط جامدة ، تصوير تقاس فيه الأبعاد والمسافات بالمشاعر والوجدانات ، فالمعانى تُرسم وهى تتفاعل فى نفوس آدمية حية ، أو فى مشاهد من الطبيعة تخلع عليها الحياة [٢] .

وفيما يتصل بآيات الرؤيا وتأويلها فى القرآن الكريم يمكن إيجاز أهم ملامح التصوير الفنى فيها حسبما اهتدى إليه فكرى المحدود ، وعقلى القاصر أمام هذا الكلام المعجز – فى الملامح التالية :

---

(١) انظر : من جماليات التصوير فى القرآن الكريم لمحمد قطب عبد العال ص ٥٦ .

(٢) انظر : التصوير الفنى فى القرآن لسيد قطب ص ٣٧ ، ٣٨ – ط دار الشروق – الطبعة الخامسة عشرة ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م .

• **تكرار مادة رأى** :

تتكرر – كثيرًا – فى آيات الرؤيا مادة (رأى) ومشتقاتها ، ففى مواضع الرؤيا السبعة تكررت المادة اللغوية على النحو التالى :

١ – رؤيا إبراهيم (عليه السلام) : (أرى – ترى – الرؤيا) .

٢ – رؤيا يوسف (عليه السلام) : (رأيت – رأيتهم – رؤياك – رؤياى) .

٣ – رؤيا السجينين : (أرانى – أرانى) .

٤ – رؤيا ملك مصر : (أرى – رؤياى – للرؤيا) .

٥ – رؤيا رسول الله ﷺ : (الرؤيا – أريناك) .

٦ – رؤيا يوم بدر : (يريكهم – أراكهم – يريكموهم) .

٧ – رؤيا دخول المسجد الحرام : (الرؤيا) .

وهذا التكرار لمادة الرؤيا يعد أمرًا طبعيًّا ؛ لأن الرؤيا هى محور الموضوع فى هذه الآيات .

ويلاحظ أن الرؤى الواردة فى سورة يوسف (عليه السلام) تشتمل آياتها على مادة الرؤيا كثيرًا ؛ وذلك لأن المادة اللغوية (رأى) تطبع الحكاية بطابعها ، وتقيم علاقة وثيقة بين أركانها ، وتسهم مساهمة فاعلة فى السبك المعجمى للقصة ، وربط أجزائها ببعض برباط وثيق ، وتستأثر الرؤيا المنامية بنصيب وافر، بحيث يمكن القول إنها تطبع العصر الذى عاش فيه يوسف (عليه السلام) بطابعها الخاص [١] .

---

(١) انظر : البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ، للدكتور / جميل عبد المجيد ص ١٠٧ – ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨ م .

كما تكررت فى آيات الرؤيا مادة (التأويل) كثيرًا ؛ وذلك لأن التأويل مرتبط بالرؤيا ، مكمل لمجالها ، متمم لها ، ومصاحب لها فى سباقها ، وهذا ما أحدث لونًا من المصاحبة المعجمية التى هى الارتباط الاعتيادى لكلمة ما فى لغة بكلمات أخرى معينة ، فالرؤى تحتاج إلى تأويل ، وكل منهما يستدعى الآخر ، وقد تكرر ذكر التأويل فى رؤى سور يوسف (عليه السلام) ؛ لأن التأويل كان إحدى خصائص يوسف (عليه السلام) التى مَنَّ الله (عز وجل) عليه بها ، وإحدى معجزاته التى أيده الله (تعالى) بها [١] .

(١) انظر : بلاغة السرد القصصى فى القرآن الكريم ص ١٤٢ .

• **الدقة فى استخدام الألفاظ** :

مما لاشك فيه أن القرآن الكريم – وهو كتاب الله المعجز – يراعى الدقة التامة فى استخدام الألفاظ، فهو يضع اللفظة فى موضعها الذى لا يناسبه غيرها ، ولا يصلح له سواها .

وقد تجلت هذه الخاصية فى آيات الرؤيا ، فنجد مثلاً فى تأويل رؤيا ملك مصر دقة التفريق القرآنى بين لفظى السنة والعام ، فنجد أوقات الشدة معبرًا عنها بالسنين : (سبع سنين دأبًا) ، أما أوقات الرخاء فيعبر عنها بالعام (عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون) .

وهذا ما يوافق استخدام العرب للكلمتين ، فلفظة سنة لا تستخدم إلا حيث يكون الجدب والقحط والضيق والشدة ، والعرب تقول (أصابتهم سنة) أى سنة مجدبة قاحلة يكاد يهلك فيها الحرث والنسل ، فإذا ما تبدلت الحال ، واستحال الجدب والقحط إلى خير ورخاء جاء استخدام لفظ العام ، ولذا جاءت البشارة به فى تأويل يوسف (عليه السلام) للرؤيا [١] .

ومن هذه الدقة فى استخدام الألفاظ قوله تعالى على لسان ساقى الملك (أنا أنبئكم بتأويله) ، فقد استخدم الضمير مذكرًا مع أن المقصود هو (رؤيا الملك) وهى مؤنثة ، فلم يقل (أنبئكم بتأويلها) ؛ وذلك لأن الهاء عائدة على ما ذكره الملأ من تسمية رؤيا الملك أضغاث أحلام ، والأحلام جمع حلم وهو مذكر .

فالضمير إذًا عائد على الحلم المفرد المذكر ، وليس الرؤيا المفردة المؤنثة ، ومعنى ذلك أن الرجل قد سلم مع الملأ وجاراهم فى أن ما رآه الملك حلم ، ومع ذلك فإن عنده من يقوم بتأويل هذا الحلم الذى ظن العلماء أنه لا تفسير له [٢] .

---

(١) انظر : بلاغة السرد القصصى فى القرآن الكريم ص ١٥٩ .

(٢) راجع : سورة يوسف قراءة تحليلية ص ٢٠٢ .

ومن هذه الدقة أيضًا التعبير بـ (نبئنا) فى سياق طلب السجين تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه ، والتعبير بـ (أفتنا) فى سياق طلبه تفسير رؤيا الملك ، وذلك لأن الموقف الأول كان قبل معرفته الكافية بيوسف (عليه السلام) ، فالإنباء يطلب من رجل يستشعر فيه بعض الثقة والصلاح ، أما الإفتاء فلا يطلب إلا ممن هو أهل للفتيا لأنه من الراسخين فى العلم [١] ، وهذا ما رآه الرجل فى يوسف (عليه السلام) بعد معرفته التامة له .

(١) انظر : سورة يوسف قراءة تحليلية ص ٢٠٣ .

• **موافقة بنية الكلمة للمعنى المراد** :

نرى السياق القرآنى فى آيات الرؤيا يعبر عنها تارة بصيغة الماضى كما هو الحال فى رؤيا يوسف (عليه السلام) : (إنى رأيت) ، (رأيتهم) ، وتارة يعبر عنها بصيغة المضارع كما هو الحال فى رؤيا السجينين : (إنى أرانى) ، (إنى أرانى) ورؤيا ملك مصر : (إنى أرى) .

والتعبير ببنية المضارع يفيد التجدد والاستمرار والتكرار ، وكأن كل واحد من السجينين والملك قد رأى رؤياه أكثر من مرة فلم يقصها إلا بعدما أرَّقته أما يوسف (عليه السلام) فمن الواضح أن الرؤيا لم تتكرر ، بل إن غرابتها على مثل من هو فى سنه كافيه بأن تجعله يسرع بها ليخبر أباه الذى كان دائمًا يحتويه ويعلمه [١] .

---

(١) راجع : سورة يوسف قراءة تحليلية ص ٣٩ .

• **انتقاء المشاهد واختزالها** :

من الظواهر الفنية البارزة فى آيات الرؤيا انتقاء المشاهد واختزالها ، والتعبير عنها بألفاظ موجزة ، بل إن بعض الرؤى يكتفى الذكر الحكيم بمجرد الإشارة إليها كما فى قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ (١) .

ومن الملاحظ أن الرؤى الواردة فى سورة يوسف (عليه السلام) وتأويلها جاء زمن القص فيها محدودًا جدًّا قياسًا إلى الزمن الفعلى الذى قد يستغرق سنواتٍ طويلة فيغلب على الحكاية الإيجاز المعهود فى النصوص القرآنية، والذى هو عصب البلاغة، ويكثر فيها الحذف، والإجمال، واختصار الأحداث والمشاهد ، والاكتفاء بالضرورى منها ، والاعتماد على عنصر الانتقاء فى سرد الأحداث .

وبدهى أن هذا الحذف والانتقاء لا يضر بحبكة القصة أو يُحدث فيها خللاً بل هو بُعْد عن السطحية ، وحضور فى العمق ، فينتج عنه اختزال وقائع سنوات فى جملة (٢) .

ومن هذا الاختزال قوله (تعالى) على لسان يوسف (عليه السلام) فى تأويل رؤيا الملك : ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴾ (٣) .

(١) من الآية (٦٠) من سورة الإسراء .

(٢) انظر : فى السرد – تأليف عبد الوهاب الرقيق – الطبعة الأولى ١٩٩٨ م .

(٣) الآية (٤٧) من سورة يوسف .

حيث اختزل السنوات السبع فى هذه الإشارة، ولم يروِ لها أى ذكر بعد ذلك .

ولاشك أن قصة (يوسف) بأسرها تُبنى على عنصر الاختزال ، وهى حافلة بحذف ما لا يقتضيه السياق لوضوح دلالته ، وتمثله فى البنية العميقة للوحدات الحكائية [١] .

(١) انظر : بلاغة السرد القصصى فى القرآن الكريم ص ١٠١ ، ١٠٢ .

• **توظيف عنصر الحوار** :

إذا كان الحديث عن الرؤيا وتأويلها هو من قبيل القصّ فى المقام الأول ، فإن عنصر الحوار من أهم ما يميز القصة ، ويعين على السرد فيها ، بل لعل الوظيفة الأساسية للحوار هى الوظيفة السردية ، فالحوار قطعة مندرجة فى جسم النص السردى ، الفرق بينه وبين القص أننا فى القص نسمع صوتًا يتحدث عن الشخصيات وأعمالها وهيئاتها ، بينما نسمع فى الحوار أصواتها وهى تتكلم عن نفسها ، فنراها وهى تتحرك ، ونستخلص صفاتها وعلاقاتها .

وقد اتخذ أسلوب السرد فى آيات الرؤى فى سورة (يوسف) عليه السلام – الحوار الوسيلة الأساسية لتطور الأحداث ونموها ، ويدهشنا تكرار مادة (ق – و – ل) التى تدل على أن القرآن الكريم آثر أن يسوق الكلمات على لسان أصحابها فكان ذلك أبعد أثرًا فى إحياء المشاهد التى تضمنها الحدث القصصى ، وفى إقدارها على التأثير بالكلمة تأثيرًا لا يبلغه التأثير بالصورة أو الحركة ؛ لأنه فى الحوار تخرج الكلمات من فم أصحابها حيةً نابضةً بالمشاعر والأحاسيس ، فلا نسمع الكلمات حتى نجد صاحبها معها ينطق بها محملة بخلجاته ونبرات صوته ، وما انطبع على وجهه من آثار [١] . ففى رؤيا يوسف (عليه السلام) تُصَدَّر الجملة بالفعل (قال) فيبدو فى المشهد يوسف الغلام وعلى وجهه علامات الحيرة والدهشة من هذه الرؤيا العجيبة وهو يلتمس من والده الشيخ الحكيم ، والنبى الكريم تفسيرًا يزيل دهشته ويهدئ من روعه ، كما يُصَدَّر حديث يعقوب (عليه السلام) بالفعل (قال) أيضًا فيبدو فى نبراته عطف الأب وخوفه على ابنه الصغير ، كما تظهر حكمته وموعظته ونصحه .

---

(١) انظر : القصص القرآنى فى منطوقه ومفهومه ، لعبد الكريم الخطيب ص ١٣٠ – ط بيروت – الطبعة الأولى – دون إشارة إلى تاريخ الطبع .

• **دور الرؤيا فى رسم ملامح الشخصيات** :

تلعب الرؤيا دورًا مهمًّا فى رسم ملامح الشخصيات فى القصة التى تُعد الرؤيا جزء منها .

ففى رؤيا يوسف (عليه السلام) تبين رؤياه وطريقة قصه لها أنه لا يزال غلامًا صغيرًا قد هاله وأفزعه ما رأى ، وهو يلتمس عطف أبيه وحنوّه ، وحكمته وخبرته حين قصَّ عليه رؤياه .

ويبدو كذلك من طريقة عرضه للرؤيا أنه يتسم بالبلاغة والرزانة ، والبعد عن الثرثرة التى يعرف بها من هو فى مثل سنه ، حيث قص الرؤيا كما رآها دون زيادة أو نقصان ، ودون مبالغة أو تهويل .

وفى رؤيا ملك مصر تدل الرؤيا واهتمام الملك بمعرفة تأويلها على أنه رجل روحانى يؤمن بالرؤى والأحلام ، بل ويبنى سياسة امبراطوريته العظمى على رؤيا رآها ، ويبدو أن الرؤى والتأويل كانا جزءًا من طبيعة هذا العصر ، وقد كان لهذا الملك الهكسوسى القادم من الشرق احتكاك بهذه البيئة الدينية الروحية ، فهو شخصية مغايرة لشخصية فرعون موسى ، فيوسف (عليه السلام) حين دعا الملك إلى التوحيد قابله الملك بالاصطفاء والتمكين ، بعكس ما قابل به فرعون موسى (عليه السلام) من المحاربة والسلب والتذبيح ، وهذه بعض الملامح الشخصية والنفسية لهذا الملك كما أعانت الرؤيا على توضيحها [١] .

(١) انظر : بلاغة السرد القصصى ص ٨٩ ، ٩٠ .

• دور الرؤيا فى البناء الدرامى للقصة القرآنية :

لعبت الرؤيا دورًا أساسًا فى البناء الدرامى للقصة القرآنية وبخاصة فى قصة يوسف (عليه السلام) .

حيث تمثل شخصية يوسف (عليه السلام) الأداء الفنى الكامل للقصة القرآنية فى كل جوانبها ومراحلها ومنعرجاتها ، ومنذ اللحظة الأولى فى عرض القصة نجدنا أمام لون من الإبهار المشوِّق الأخَّاذ ، حيث نجدنا أمام مشهد فنى متميز يتراءى فى صورة رؤيا يراها غلام حديث السن فى بين نبوة وعلم وفضل وهذا نوع من الإجمال يأتى فى أول القصة وبنائها الدرامى ليكون مفتاحها الذى تبنى عليه حبكتها كلها ، وهذا ذروة الفن فى القصة [١] .

وهذه الرؤيا التى رآها يوسف (عليه السلام) وهو غلام صغير تلعب دور البطولة فى البناء الدرامى للقصة ، فكل أحداث القصة تسير فى طريق الوصول إلى تحقيق هذه الرؤيا التى ينكشف بتحقيقها غموض الأحداث ، وتبدأ عقدة الحكاية فى الحل ، ويكتمل البناء الدرامى للقصة .

---

(١) انظر : بدائع الإضمار القصصى فى القرآن الكريم لكاظم الظواهرى ص ١٠٢ – الطبعة الأولى ١٩٩١ م .

• تنوع الرؤيا بين الحقيقة والرمز :

تنوعت الرؤى الواردة فى القرآن الكريم بين الحقيقة والرمز ، فبعض الرؤى حقيقة لا رمز فيها ، بل تفسر على وفق ما رآها صاحبها ، ومن ذلك رؤيا إبراهيم (عليه السلام) حيث رأى فى المنام أنه يذبح ولده ، وقد فسرت بالأمر بذبحه على الحقيقة ، ومنها أيضًا رؤيا رسول الله ﷺ عدد المشركين قليلاً يوم بدر، فهى حقيقية لا رمز فيها ، ورؤياه ﷺ أنه يدخل المسجد الحرام فقد تحققت فعلاً كما رآها .

وبعض الرؤى تكون رمزية بمعنى أن يرى الرائى شيئًا فى رؤياه ولكن هذا الشىء رمزًا لشىء آخر ، ومن ذلك رؤيا يوسف (عليه السلام) حيث جاءت فيها الكواكب الأحد عشر رمزًا لإخوته ، والشمس رمزًا لأبيه ، والقمر رمزًا لأمه أو خالته .

ومن الرؤى الرمزية رؤيا ملك مصر حيث رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ، وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات ، وقد فُسِّر هذا المشهد الرمزى بسنوات الرخاء ثم سنوات القحط .

ويلاحظ أن رؤيا صاحبى يوسف (عليه السلام) فى سجنه جاءت إحداهما حقيقية والأخرى رمزية ، فالذى رأى أنه يعصر خمرًا كانت رؤياه حقيقية لأنها فسرت بأنه سينجو ، ويستمر فى عمله ساقيًا للملك ويعصر له العنب خمرًا ، أما الذى رأى أنه يحمل فوق رأسه خبزًا تأكل الطير منه ، فإن رؤياه معتمدة على الرمز ؛ لأن هذا الخبز الذى رآه إن هو إلا رمز لرأسه الذى ستأكل الطير منه بعد صلبه .

وهكذا تنوعت الرؤى فى القرآن الكريم بين الحقيقة والرمز .

• **الرؤيا بين الاستشراف والاسترجاع** :

الأصل فى الرؤيا أن تنبئ عن أمور مستقبلية ستقع ، ففيها استشراف للمستقبل ، لاسيما الرؤى التى تقع لأنبياء الله (عليهم الصلاة والسلام) ، وهذا الاستشراف كثير فى رؤى القرآن الكريم كرؤيا يوسف (عليه السلام) ورؤيا السجينين ، ورؤيا ملك مصر ، ورؤيا دخول المسجد الحرام ، وقد يأتى سياق الرؤيا وتأويلها فى القرآن الكريم فى معرض استرجاع الأحداث والتذكير بها ، وذلك كما فى تأويل رؤيا يوسف (عليه السلام) حين تحقق مشهدها على أرض الواقع ، قال يوسف (عليه السلام) لأبيه مسترجعًا رؤياه القديمة : ﴿ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗا ﴾ (١) ، وقد يكون الاسترجاع فى معرض تذكير الله (عز وجل) وامتنانه على رسوله ﷺ كما فى الرؤيا التى جعلها الله فتنة للناس : ﴿ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ ﴾ (٢) ، ورؤيا غزوة بدر : ﴿ إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلٗاۖ وَلَوۡ أَرَىٰكَهُمۡ كَثِيرٗا لَّفَشِلۡتُمۡ وَلَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ (٣) .

(١) من الآية (١٠٠) من سورة يوسف .

(٢) من الاية (٦٠) من سورة الإسراء .

(٣) الآية (٤٣) من سورة الأنفال .

• **توافق البدء والختام** :

تأتى الرؤيا فى القرآن الكريم فى كثير من الأحيان فى سياق قصة متكاملة " والتعبير القرآنى يتناول القصة بريشة التصوير المبدعة التى يتناول بها جميع المشاهد والمناظر التى يعرضها ، فتستحيل القصة حادثًا يقع، ومشهدًا يجرى ، لا قصة تُروى ، ولا حادثًا قد مضى " (١) .

وفى هذه القصص تلعب الرؤيا دورًا مهمًّا ، بل إنها فى قصة يوسف (عليه السلام) تلعب الدور الأهم ، وتكون بمثابة الخيط الذى تنتظم فى سلكه الأحداث جميعها ، وتمثل الرؤيا مشهد البدء ، بينما يمثل تحققها مشهد الختام ، وتكون أحداث القصة جميعها حلقات فى سلسلة الرؤيا التى تفضى فى النهاية إلى تحققها .

ففى هذه القصة يتوافق البدء والختام ويصبح هذا المشهد الرمزى فى رؤيا يوسف الغلام مشهدًا حقيقيًّا ليوسف النبى العزيز الذى مكن الله له فى الأرض .

يقول صاحب التصوير الفنى (٢) : " أما قصة يوسف فكان فيه توافق فى الختام من نوع خاص يتفق مع القصة فى الابتداء ، فقد بدأت القصة برؤيا يوسف فختمت بتحقق هذه الرؤيا ، وبسجود إخوته له وأبويه ، ولم يَخْطُ خطوة وراء هذا كما فعلت التوراة ، لأن الغرض الدينى قد تحقق ، وتحقق معه للقصة أجمل ختام ".

(١) التصوير الفنى فى القرآن ص ١٩٠ .

(٢) ص ١٧٧ ، ١٧٨ .

• **إبداع الإيقاع فى فواصل الآيات** :

الفاصلة فى القرآن الكريم هى ما تنتهى به الآية القرآنية ، وهى جزء من الآية ، وعنصر تعبيرى متميز ، ومثير قوى للإيقاع ، وهى كملمح أساس من ملامح الإيقاع الموسيقى والنظم الصوتى فى القرآن الكريم تنطوى على دلالتين : دلالة صوتية تتمثل فى الإيقاع والرنين الصوتى المحكوم بنسق الآية والسياق العام ودلالة معنوية تحمل تمام الفكرة فى الآية (١) .

والآيات القرآنية جميعها تنتهى بفواصل منسجمة موسيقيًا بعضها مع بعض ، والقرآن الكريم يُعنى بهذا الانسجام عناية واضحة ؛ لما لذلك من تأثير كبير على السمع ، ووقع مؤثر فى النفس (٢) .

والمتأمل فى الفواصل التى انتهت بها آيات الرؤيا فى القرآن الكريم يجدها مشتملة على قدر كبير من إبداع الإيقاع ، وانسجام التناغم ، ويجد لها وظيفتها فى إتمام المعنى واكتمال الفكرة .

ولنأخذ مثالاً لذلك فواصل آيات رؤيا إبراهيم (عليه السلام) : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ ﴾ (٣) .

---

(١) انظر : من جماليات التصوير فى القرآن الكريم ص ٢٣٤ .

(٢) راجع : التعبير القرآنى – للدكتور / فاضل صالح السامرائى ص ٢١٧ – ط دار عمار – عمَّان – الأردن – الطبعة الثالثة ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م .

(٣) الآيات (١٠٢ – ١٠٦) من سورة الصافات .

فبالنظر فى فواصل الآيات تبين انسجامها التام مع إيقاع ما جاورها من آيات السورة الكريمة من حيث انتهائها بحرف النون المسبوق بياء المد ، والذى قد تنوب عنه الميم فى مواضع قليلة ، ومن حيث إيقاع الآيات القصيرة المتناسبة .

كذلك يلحظ المتأمل مناسبة الفواصل للمعنى ، فلا يجد فاصلة منها قلقة فى موضعها ، ولا شاذة فى مكانها ، ولا مجلوبة لإحداث الوقع الموسيقى فحسب بل هى متممة للمعنى ، مكملة للفكرة فى غير تكلف ، بل لا يصلح سواها فى موضعها ، فكلمة (الجبين) لا يمكن استبدال كلمة أخرى بها لتؤدى المعنى نفسه مع المحافظة على الإيقاع ، ومثلها كلمة (الصابرين) ، (المحسنين) وغيرهما .

كما يُلاحظ أيضًا أن حرفى النون بخفته ورقته ، وحرف المد قبله يناسبان تمامًا سياق الرؤيا الذى تظلله أجواء من الروحانية والسكينة .

خاتمة

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، وعلى آله وصحبه والتابعين ، صلاة وسلامًا دائميْن متلازميْن إلى يوم الدين .

أما بعد :

فقد انتهيت بعون الله (تعالى) وتوفيقه من إعداد هذا البحث الذى تناول بعض جماليات السرد والتصوير الفنى فى حديث القرآن الكريم عن الرؤيا وتأويلها .

وقد توصلت من خلاله إلى النتائج التالية :

- استخدم القرآن الكريم مصطلح (الرؤيا) فى مجال الصدق الكامل ، والتحقق المحتوم ، وهى مخالفة للحلم الذى يعنى بمعنى المشاهد المنامية المتصفة بالخلط وعدم الوضوح .
- كشفت الرؤى فى القرآن الكريم عن أشياء غيبية تقع فى المستقبل وهى فى هذا الجانب علامة على اصطفاء الرائى وشفافيته .
- حملت الرؤيا فى القرآن الكريم عناصر جمالية تتصل بالسرد القصصى ، وقد أوردها الذكر الحكيم فى أسلوب معجز بلغ الغاية فى الفصاحة والبلاغة .
- اتسمت آيات الرؤيا فى القرآن الكريم بملامح مميزة من حيث التصوير الفنى .

والحمد لله أولاً وآخرًا

الباحث

أهم المصادر والمراجع

- القرآن الكريم (تبارك من أنزله) .
- بدائع الإضمار القصصى فى القرآن الكريم – لكاظم الظواهرى – الطبعة الأولى ١٩٩١ م .
- البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية – للدكتور / جميل عبد المجيد – طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨ م .
- بلاغة السرد القصصى فى القرآن الكريم : قصة يوسف نموذجًا (قراءة فى مفاهيم السرد المعاصر) للدكتور / إبراهيم عبد المنعم إبراهيم – طبعة مكتبة الآداب – الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م .
- التعبير القرآنى – للدكتور / فاضل صالح السامرائى – طبعة دار عمَّار – عمَّان – الأردن – الطبعة الثالثة ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م .
- التصوير الفنى فى القرآن لسيد قطب – طبعة دار الشروق – الطبعة الخامسة عشرة ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م .
- تفسير الفخر الرازى المشهور بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب – طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م .
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير – طبعة دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م .
- تفسير القرطبى (الجامع لأحكام القرآن) – طبعة دار الريان للتراث – القاهرة – دون إشارة إلى تاريخ الطبع .
- جامع البيان فى تأويل آى القرآن لابن جرير الطبرى – طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م .

- ديوان جراح الفجر للشاعر / رشاد محمد يوسف – طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨ م .
- الرسم بالألوان فى القرآن لأحمد رأفت – طبعة دار الجميل للنشر والتوزيع والإعلام – دون إشارة إلى تاريخ الطبع .
- سلسلة القصص القرآنى – للدكتور / حمزة النشرتى وآخرين – طبعة المكتبة القيمة بالقاهرة – دون إشارة إلى تاريخ الطبع .
- سنن الترمذى – تحقيق / أحمد محمد شاكر وآخرين – طبعة الحلبى بمصر – الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .
- سورة يوسف قراءة تحليلية – للدكتور / أحمد عطا إبراهيم حسن – طبعة دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠٠٧ م .
- صحيح البخارى – تحقيق / محمد زهير بن ناصر – طبعة دار طوق النجاة – الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
- صحيح مسلم – تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقى – طبعة دار إحياء التراث العربى – بيروت – لبنان – دون إشارة إلى تاريخ الطبع .
- فن السرد – تأليف / عبد الوهاب الرقيق – الطبعة الأولى ١٩٩٨ م .
- فى ظلال القرآن لسيد قطب – طبعة دار الشروق – الطبعة السادسة والعشرون ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م .
- القرآن الكريم : كتاب أُحكمت آياته – تأليف / أحمد محمد جمال – طبعة رابطة العالم الإسلامى ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- القصص القرآنى فى منطوقه ومفهومه لعبد الكريم الخطيب – طبعة بيروت – الطبعة الأولى – دون إشارة إلى تاريخ الطبع .

• الكشاف للزمخشرى – طبعة دار المعرفة – بيروت – لبنان – دون إشارة إلى تاريخ الطبع .
• لسان العرب لابن منظور – طبعة دار صادر – بيروت – لبنان – الطبعة الثالثة ١٤١٤ هـ .
• مؤتمر تفسير سورة يوسف لعبد الله العنزى الدمشقى – طبعة دار الفكر – دمشق ١٩٦١ م .
• معجم البلدان لياقوت الحموى – طبعة دار صادر – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية ١٩٩٥ م .
• المعجم الوجيز – إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة – طبعة وزارة التربية والتعليم ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م .
• من جماليات التصوير فى القرآن الكريم – تأليف / محمد قطب عبد العال – طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب – الطبعة الثانية ٢٠٠٦ م .
• الوحدة الموضوعية فى سورة يوسف لمحمد حسن باجودة – طبعة دار تهامة للنشر – جدة – السعودية ١٤٠٣ هـ .